

192789 - مقولة " لا تؤدبوا أولادكم بأخلاقكم ، لأنهم خلقوا لزمان غير زمانكم " ؟

السؤال

انتشرت مؤخراً مقولة " لا تؤدبوا أولادكم بأخلاقكم ، لأنهم خلقوا لزمان غير زمانكم " ، منسوبةً للصحابيِّ الجليل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وأرضاه ، فأردتُ أن أتأكد من صحة نسبتها له ، فبحثتُ وطال بحثي ، ولم أجد مصدرًا موثوقًا يذكرها . فهل هي فعلاً للصحابيِّ عليّ ؟ وما هو المعنى الصحيح لها ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

هذا الكلام لا يعرف عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولا عن أحد من الصحابة أو غيرهم من السلف الصالح ، إنما يعرف من قول سقراط ، ولفظه : " لا تكرهوا أولادكم على آثاركم ، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم " . انظر: "إغاثة اللهفان" (2/ 265) ، " الملل والنحل" للشهرستاني (2/144) . وقيل : هو من قول أفلاطون ، انظر : "لباب الآداب" (ص237) ، " التذكرة الحمدونية" (1/256) .

ثانياً :

هذا الكلام بهذا الإطلاق : غير صحيح ؛ فإن من الآداب الشرعية والأخلاق الفاضلة : ما لا علاقة له بزمان أو مكان ، فالصدق ، والأمانة ، وترك المعصية ، ولزوم الطاعة : كل هذا لا علاقة له بالزمان والمكان ، وإنما يتعلق بذلك من يقول بنسبية الأخلاق ، ونسبية الخير والشر ، وهو قول باطل مردود . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ) . رواه أحمد (8595) وغيره ، وصححه الألباني .

والناس على خيرٍ ماداموا يتأدبون بآداب السلف ، ويستنون بسنتهم ويأخذون بهديهم؛ وكان السلف يأخذ صغيرهم عن كبيرهم ، ومتعلمهم عن عالمهم ؛ كما قال بعض أهل العلم :

" كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يُشَبَّهُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَدْيِهِ وَدَلِّهِ وَسَمْتِهِ، وَكَانَ عَلْقَمَةُ يُشَبَّهُهُ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ يُشَبَّهُهُ عَلْقَمَةَ، وَكَانَ مَنْصُورٌ يُشَبَّهُهُ إِبْرَاهِيمَ، وَكَانَ سُفْيَانُ يُشَبَّهُهُ مَنْصُورًا، وَكَانَ وَكَيْعٌ يُشَبَّهُهُ سُفْيَانَ، وَكَانَ أَحْمَدُ يُشَبَّهُهُ وَكَيْعًا، وَكَانَ أَبُو دَاوُدَ يُشَبَّهُهُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ ". انتهى من "البداية والنهاية" (618 / 14)

وقال الذهبي رحمه الله :

" تفقه أبو داود بأحمد بن حنبل ولازمه مدة ، وكان يشبهه به كما كان أحمد يشبهه بشيخه وكيع وكان وكيع يشبهه بشيخه سفیان وكان سفیان يشبهه بشيخه منصور وكان منصور يشبهه بشيخه إبراهيم وكان إبراهيم يشبهه بشيخه علقة وكان علقة يشبهه بشيخه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وروى أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن علقة أنه كان يشبه عبد الله بن مسعود بالنبي صلى الله عليه وسلم في هديه ودله " انتهى من "طبقات الشافعية" (296 / 2) .

وإنما قد يستفاد من ذلك : في مراعاة أمور العادات والأخلاق ، والمروءات ، التي لا تتعلق بنص شرعي ، وإنما مبناها على عادات الناس ، وأعرافهم ؛ وهذا أمر يختلف باختلاف الزمان والمكان ، فينبغي أن يراعي المربي فيه تغير الأعراف ، وتغير العادات ؛ فلا يحمل أولاده على عادة أو عرف اختلف زمانه ، ما لم يكن ذلك مصادما لنص شرعي واضح ، فهذا لا فصال فيه ، وإنما فيه الحكمة في حمل الرجل أبناءه ورعيته ، على التزام أدب الله لخلقه ، وأدب النبي صلى الله عليه وسلم لأتباعه ، وتحبيبتهم في ذلك ، وترغيبهم في الأخذ به عن طواعية ، مع الخلط في أدبهم بين الحزم واللين ، والترغيب والترهيب ، وتأتي الأمر من باب ، والترفق في شأن الرعاية ، وما يصلح الرعية .

والله تعالى أعلم .